وحوش المدينة
الإنساحيوانية

محمد سمير الموصللي

مقدمة

كلنا يعلم قانون الغاب وكيف تتعامل الوحوش مع بعضها، القوي يقتل الضعيف والضعيف يتحايل على القوي ليبقى على قيد الحياة، كل سلالة لها طريقتها وكل فرد فيها له طريقته، فمنهم من يستطيع العيش طويلا ومنهم لم يساعده الحظ في قدرته على الحياة أو التأقلم مع قوانين الطبيعة القاسية فيزول إلى عالم النسيان، إن الحياة قد قضت على الكثير من الكائنات الحية لعدم قدرتها على التأقلم أو الدفاع عن النفس أمام الكائنات الأقوى أو الأذكى، أي أن القوي يعادل الذكي تقريبا حيث أن القوي يدافع عن نفسه أو عن صغاره بالقوة والتعامل مع الطبيعة باكتساب الوسائل التي تحميه ضد تقلباتها وكوارثها، والذكي يدافع بالحيلة عن نفسه أو عن صغاره ويتعلم كيف يستفيد من الطبيعة للحصول على ما يساعده في تأمين احتياجاته.

الإنسان جزء لا يتجزأ من الطبيعة ومكوناتها مثل كافة الكائنات الحية التي تعيش على هذه الأرض، وتشاركه بالحياة عليها، والإنسان مثله مثل كل الكائنات الحية يتوالد وينمو ويعيش ثم يموت، يأكل ويشرب وينام ويتزاوج وربما يعيش طويلا وربما يفقد حياته بسبب ما، الإنسان أضعف الكائنات الحية فهو لا يملك قوة الأسد مثلا ولا مخالبه أو أنيابه الفتاكة ولا يملك فروة الدب لتحميه من البرد القارس ولا يستطيع أطفاله النهوض والاعتماد على انفسهم منذ الصغر مثل القطط أو الغزلان، ولا الطبيعة ساعدته على الانجاب بكثرة بأقل مدة ممكنة مثل الأرانب أو

الأسماك، ولا يستطيع الجري بسرعة مثل الفهد او الغزال، ولكن الطبيعة أعطته الذكاء الذي بفضله سيطر على الطبيعة وعلى كل الكائنات الحية التي تعيش عليها، وأصبح سيد الأرض ولكن صفاته البيولوجية والنفسية وغرائزه الحيوانية تتشابه وتتقاطع مع الكثير من الكائنات الحية ولكنها تختلف بذكائه الذي أوجد القوانين الأخلاقية التي تتحكم بهذه النزوات والنزعات والشهوات والغرائز ويرشدها سواء إلى الطريق الجيد أو السيء.

برغم تطور الإنسان فهو لا يزال يحتفظ بقسمه الحيواني الذي يظهر على الساحة من وقت لآخر، وربما في معظم الأوقات، إن تاريخ الحروب التي بدأت بين بني الإنسان، ومنذ القدم لهي أكبر برهان على التوحش الكامن والنائم جزئيا ليستيقظ بسرعة كلما سنحت له الفرصة، التاريخ يعيد نفسه والعجلة تدور حول محورها لا يختلف شيئا سوى تقدم الزمن وتطور وسائل الحياة والحرب.

العدوانية مشكلة البشرية، كل الأديان والفلسفات والمعايير والقوانين والقواعد السلوكية اهتمت بتنظيم العدوانية وطرق ضبطها وتصريفها، ولا زال الانسان الى الآن حائرا بهذه العدوانية وطرق التحكم بها والسيطرة عليها، يقول بتول في مقدمته لكتاب الإنسان الغاضب من تأليف فوست أنكوني ان احدى الخصائص الرئيسية لكل حضارة هي الطريقة التي تفهم وتنظم بها العدوانية.

ان العدوانية عند الحيوانات تتبع أسباب عدة، الدفاع عن المجال الحيوي أو عن الطريدة أو منطقة الصيد، البحث عن الغذاء، المكانة المترتبة ضمن الجماعة بغية تحقيق التوازن الوظيفي، التزاوج لحصول الأقوى على الأنثى وتطور الجنس، كما أن الحقد هو أهم ما يميز عدوانية الإنسان عن عدوانية الحيوان الذي لا يملكها لأن الحقد عند الإنسان هو تراكم مزمن للعدوانية.

كان يملك الإنسان البدائي قدرة عقلية محدودة وعالمه ضيق بسيط ولا يستطيع أن يميز بين الحي والميت أو الجماد، يقبل دون تساؤل، لا يتمتع بحب الاستطلاع ولا هو مسؤول، تتلاعب به العواطف، عاجز عن

التفكير المنطقي، انه يشبه كثيرا ابن عمه الشمبانزي، بل أنه كان يعيش مثله قبل النزول من الفردوس، ولكنه بدأ بالاختلاف عنه، هذا الاختلاف الذي بدأ بالتباعد على مر العصور أو بكل بساطة التطور.

زوجين، أسرة، عشيرة، قبيلة، أمة، قومية، شعب، الخ

تاريخ الإنسان

استخدم الإنسان البدائي الطبيعة لتلبية احتياجاته، وهناك أدلة كثيرة عن علم ودين وعقلية وثقافة واقتصاد ومجتمعات وشعوب الإنسان البدائي.

المرحلة الوحشية التي تتميز بالعيش على النباتات والحيوانات البرية، وكانت الأم هي التي تشرف على الأسرة كونها تعرف أولادها بالغريزة بينما الرجل كان لا يفقه شيئا سوى الأكل والشرب والنوم والجنس، ثم بدأ الرجل بتحمل نوعا من المسؤولية كالدفاع عن أنثاه وعن محيط صيده أو أرضه وعن طريدته وطعامه ثم الدفاع عن أولاده وأصبح مسؤولا عن الصيد وتوفير المأكل والمشرب لعائلته وأصبح هو رب الأسرة الذي يقرر كونه الأقوى جسديا فأوكل إليه الإدارة والتفكير ثم ظهرت تجمعات أسرية يحكمها الرئيس الذي يتميز بالقوة والخبرة إلى أن يظهر فرد آخر أقوى من الرئيس الذي يقتل في مبارزة الحكم للأقوى والحصول على جميع الأناث التي كان يمتلكهن، اكتشاف النار والحصول على اللحوم المطهية بدلا من النيئة واستعمال أدوات العصر الحجري ثم المرحلة

البربرية التي تتميز بظهور الزراعة والآلات المعدنية ونوع من الحياة الاجتماعية في القرى والحواضر التي تتميز بظهور ثلاث فئات هي السلطة ورجال الدين او السحرة وعامة الشعب، ثم المرحلة الثالثة التي بدأت عندما اكتشف الإنسان فن الكتابة.

[تايلر 1881: 18-1]

حقبة البلاي ستوسين الدنيا المتأخرة:

القردة الجنوبيون أشباه البشر أول من صنع الأدوات، وكانت حجوم جماجمهم وخصائص أسنانهم تضعهم في الدرجة الوسيطة ما بين القرود العليا والإنسان. [أشلي منتاغي وترجمة د. محمد عصفور البدائية ص 107]. وقد اكتشفت مجموعة أخرى من القردة أشباه البشر [الإنسان القرد الزنجي] في مكان مكشوف بمنطقة في اخدود أولد وفاني في شرق افريقيا الوسطى، والذي جاء بعد القردة أشباه البشر المنتمين إلى جنوب افريقيا، وكانت ثقافته أكثر عددا وتنوعا وتدل أدواته على أنه كان يصطاد ومن المحتمل أنه كان يعيش ضمن جماعات تضم كل منها من 20 الى 40 فردا بدليل كمية العظام التي وجدت في الكهوف أو قرب البحيرات، ولما كانت الأدلة على استعمالهم النار معدومة فلا بد من افتراض أنهم كانوا يأكلون الحيوانات نيئة مباشرة بعد اصطيادها وقتلها، وقد نقلوا الحجارة الى الكهوف على أنهم كانوا أذكياء إلى درجة تكفي للبحث عن الأنواع التي تنفع لعمل أفضل الأدوات، أما اللغة فالأدلة تشير إلى أنهم استخدموا وسيلة من وسائل التفاهم أرقى مما نجده عند الحيوانات الأخرى بحيث كانوا قادرين على نقل المعلومات المتوارثة عن صنع الأدوات والصيد.

المرضى النفسيين في المجتمعات البدائية يتحولون الى متنبئين ومخلصين ومصلحين، ويغيرون طرق الحياة البالية والاتجاهات السحرية القديمة، والسبب هو أن الشخصية السيكوباتية في المجتمعات التي تكتسب فيها العادات القداسة عن طريق السحر بالدرجة الأولى هي الشخصية التي تشذ في سلوكها عن السلوك العام، ولذلك تجرؤ على كسر طوق العادات القديمة التي لم تعد صالحة للأوضاع المتغيرة.

حقبة البليستوسين الوسطى:

صناعة الأدوات المتماثلة عند الصيادين: إن انجماد القارات في النصف الشمالي من الكرة الأرضية في هذه الحقبة ترك أثرا على التوزع النباتي والحيواني وعلى السكان البشريين الأوائل، والظاهر أنها كانت هي الفترة التي شهدت أولى الهجرات خارج إفريقيا إلى مناطق جنوب شرق آسيا والهند، حيث نجد أدوات الإنسان الصيني أكثر تطورا كما أنه استخدم النار في حياته التي تعود إلى 800 ألف عام من التطور.

حقبة البليستوسين العليا الأولى:

الصيادون المتخصصون والملتقطون: بدأت هذه المرحلة قبل أكثر من 100000 سنة، حيث ذاب الجليد في الخطوط الشمالية وازداد عدد السكان وظهور علائم تطور ثقافي وتغيرات تكنولوجية، وتطور الأدوات في كل من أوربا وغرب آسيا وشمال افريقيا ترتبط بالإنسان النياندارتال البدائي في الزمان والمكان:

1 – أول ظهور للثقافة في العصر الحجري القديم قبل نصف مليون عام الى 10000 عام قبل الميلاد، وظهرت الزراعة ما بين 10000 7000 قبل الميلاد وفي عام 2000 قبل الميلاد كانت مجتمعات العصر الحديث قد نشأت على طول أوربا وآسيا، وظهرت المدنية عام 3500 ق.م. في الشرق الأدنى و 2500 ق.م. في وادي نهر السند وفي عام 1500 ق.م. في وادي النهر الأصفر في الصين، وفي عام 500 ق.م. في أميركا الوسطى وبيرو، وحتى القرن السادس عشر كانت الثقافة القبلية محصورة في شمال أميركا وجنوب كندا وشمال وادي المكسيك ومنطقة البحر الكاريبي ومنطقة أمازونا وأجزاء من افريقيا جنوب الصحراء وفي أواسط آسيا وسيبيريا وفي مجاهل جنوب شرق أسيا وجزور المحيط الهادي، مثل قبائل الإروكووي والهاوي مثل ما اكتشفهم الأوربيون.

العنف

عندما لا يكون هنالك سلطة عامة يخضع لها الجميع يكون البشر في حالة حرب كل إنسان ضد إنسان آخر، والاختلاف بين القبيلة والمدنية بكل بساطة هو الحرب والسلم، فالمدينة مجمع قائم خصيصا للمحافظة على القانون والنظام أما القبيلة فهي تفتقر إلى معظم مؤسسات المدينة لذلك فهي تعيش بحالة حرب وبهذا تكون القبائل مقيدة من انطلاق ثقافتهم وتقدمهم وهذا ما يفسر عاداتهم الغريبة، لعدم وجود الدولة، كما أن التنافس بين الأفراد شكل من أشكال الصراع والعنف عند الإنسان.

العنف غريزة مشتركة بين الإنسان والحيوان وتهدف إلى ضمان وبقاء الأصلح كما أن العنف نزعة للدفاع عن النفس، والعنف عند الإنسان يكون بالفطرة أي غير مكتسب وتظهر حسب فرويد عندما تعجز الأنا عن التكيف بين الغرائز وقوانين المجتمع أو عندما تكون الأنا ضعيفة فتسمح للدوافع العدوانية والميول والرغبات بالانطلاق واشباعها بطرق أخرى ومنها السلوك العدواني.

العنف والإرهاب صنيعة المجتمع المريض والسلطة القمعية والعقائد الدينية السقيمة.

إن استجابة الإنسان للعنف هي في أكثر الأحيان مكتسبة من البيئة او المحيط الاجتماعي، لأن سيكولوجية الإنسان وتربيته وسلوكه وكذلك درجة ممارسة العنف مرهونة بالظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية كالحروب والمنازعات والفقر والجريمة، وبالتراث الثقافي الاجتماعي وشبكة العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع وكذلك نظرة الإنسان لغيره المختلف عنه واحترامه له.

العنف ليس له اسم ثاني لأنه بكل بساطة تعدي على حقوق الآخرين، ومن يصف العنف باسم ثاني كالعنف الطائفي أو العنف السوفيتي أو الأميركي أو البربري أو الديني فهو أنسان عنصري يميل إلى إحدى الجهات ضد الجهات الأخرى، بلد ضد آخر، دين ضد دين، حزب ضد حزب .....

ومن البديهي أن يدافع الإنسان عن نفسه والمجموعة عن نفسها ويقابل العنف بالعنف، الذي كلما اشتد بين الخصوم كلما ارتفعت وتيرة العنف وزادت الاعتداءات على الإنسانية.

يستطيع الإنسان تهذيب غرائزه وضبطها والتحكم بها وتوجيهها توجيها صحيحا يخدم بها الإنسان والمجتمع، في حين بقيت الغريزة الحيوانية طبيعية كما هي دون تهذيب لتعبر عن نفسها بأشكال وأساليب مباشرة، لذلك فالعنف عند الحيوان غريزي، في حين أنه عند الإنسان بالإضافة كونه غريزي ولكنه مهذب ومصقول اجتماعيا، كما نلاحظه في التنافس والصراع من أجل العيش والبقاء عند الإنسان والحيوان مع اختلاف وسائلهما في تحقيق أهدافهما.

العدو في القطيع الحيواني يأتي من خارجه أما العدو في القطيع الإنساني فيكمن في داخله ..... جاك لاكا

الإرهابي:

شخص عصابي أي أنه مريض فقد المرونة وإمكانية الحوار والتفاهم والتسامح في التعامل مع الأمور ولم يستطع إيجاد حل آخر لكل قضية تسيطر عليه، ولذلك يكون حله لها قسريا حتى لو اقتضى ذلك تدمير الذات وإفنائها.

الفرق بين الإرهاب والعنف هو أن الإرهاب عنف منظم ومقنن ويهدف إلى تحقيق أهداف محددة وتقوم به منظمات حكومية أوغير حكومية غالبا، كما ويستخدم وسائل وأدوات متعددة لتحقيق أهدافه، ومنها تهديد العدو المقابل وإيقافه عند حده أو الانتقام منه لكسر شوكته أو تدميره، من دون استخدام قواعد ومعايير أخلاقية، هذا النوع من الإرهاب غير مشروع ولا أخلاقي لأنه موجه إلى الأبرياء من المدنيين والممتلكات العامة والخاصة أما العنف المشروع فهو عنف محدد وموجه نحو هدف أخلاقي هو تحرير الوطن من الاحتلال والاستغلال والتخلص من الظلم والقمع أو الدفاع عن النفس، وهو عنف مضاد او رد فعل على أعمال عنف وإرهاب تقوم به منظمات سياسية أو دولة ضد دولة معتدية أخرى، كما يحدث في فلسطين حيث تقوم الصهيونية وأداتها القمعية إسرائيل بأعمال قتل وهدم وتشريد وإبادة للشعب الفلسطيني الأعزل لترد عليها ثورة الحجارة دفاعا عن النفس والوطن ومن أجل تحرير الأرض التي اغتصبها الصهاينة والعيش بسلام في وطنها المستلب، وكذلك ما يحدث اليوم في العراق وسورية وأفغانستان واليمن ومصر ولبنان وليبيا وتونس.

تفترض نظريات العقد الاجتماعي وجود حالة طبيعية من الفطرة التي مثلت حياة الإنسان البدائية القديمة حيث عاش حينذاك في حالة لا اجتماعية يتمتع فيها الأفراد بحقوق وامتيازات طبيعية حيث كان الإنسان القديم يعيش معزولا عن الآخرين ومدفوعا بغرائزه وأن طرق اشباع هذه الغرائز هو الصراع مع الآخرين، يملك الإنسان عقدة نقص وهي عدم استطاعته مجابهة الطبيعة بمفرده إلا بالتعاون الجماعي، فالأطفال هم أضعف المخلوقات بحاجة إلى رعاية لوقت طويل، ليس مثل بقية

الكائنات الحية، فنحن لا نستطيع أن نكون بقوة الأسد ولا الغوريلا وأطفالنا لا يسيرون على أقدامهم قبل السنة أو السنتين أما الحيوانات مثلا فهم يقفون بعد الولادة بعد دقائق أو ساعات إذا عقدة النقص التي لدينا قد دفعتنا إلى التعاون مع بعضنا للتغلب على أهوال الطبيعة، إن هذه الحالة اللا اجتماعية دفعت أعضاء المجتمع عن طريق الاتصال والتحاور والتشاور والتفاهم إلى انهاء حالة الصراع والفوضى الدائمة عن طريق اتفاق اجتماعي يستهدف إلى اختيار سلطة سياسية يتنازل بها الأفراد عن حقوقهم لها وتقوم تلك السلطة بإعادة توزيع الحقوق والواجبات على الأفراد وتحقيق العدالة الاجتماعية.

ليس العالم الذي نعيش فيه سوى بنية من العلاقات التي شاركنا في تشكيلها بوعي أو بدون وعي، نحن من صنع تلك القيم والأحداث الماضية البالية والمؤثرات الحتمية التي أصبحت مساوية لوجودنا وعائقًا أمام تشييد هويتنا الخاصة.

إن الفطرة التي تهدي كافة الكائنات الحية إلى الطريق الذي يؤدي إلى المحافظة على الذات ومنعه من اجتياز المخاطر حفاظا على الفرد أولا ثم السلالة ثانيا، هذه الفطرة التي يتوارثها الأجيال عبر جيناتهم والتي تتطور بحكم الزمان والمكان، وخاصة البشر الذين سيطروا على كل شيء بالطبيعة ويحاولوا السيطرة على هذه الفطرة التي هي الشيفرة الوراثية التي تنقل المعلومات من جيل لآخر ويوجه النزعات والغرائز إلى الطريق السليم الذي يحافظ على الفرد أولا ثم السلالة البشرية من الانقراض.

إن الصراع الدائم بين الأنا الأعلى (قوانين المجتمع او الضمير حسب فرويد) والهو، يظهر لنا الاختلاف الكبير بين الأنا في المجتمعات الإنسانية التي تحترم القانون وتغذي الهو بشكل قانوني، وبين المجتمعات المتخلفة التي لا تحترم فيها القوانين ولا الإنسانية ونرى تغذية الهو بشكل بدائي بعيدا عن التحضر وبشكل أناني يضع المجتمعات المتخلفة على شفا الهاوية، نرى الأنا تتخذ اشكالا عديدة حسب المجتمع وحسب العادات

والتقاليد السائدة والأديان المهيمنة كما أنها تختلف من المثقف عن غير المثقف وخاصة في تربية الأطفال ومن القاطن في الريف عنه في المدينة ومن العامل إلى العاطل عن العمل ومن المتزوج إلى العازب ومن الغني إلى الفقير وحسب الطبقة الحاكمة ومن العامل بالسلك الدبلوماسي إلى أفراد الجيش إلى القائمين بخدمة الأديان ومخاطبة الشعب.

إن تقوية الأنا وتوازنها بالشكل الصحيح تساعد الإنسان على السيطرة على البيئة، وتمكنه من معالجة الضغوط البيئية بطريقة إيجابية وفعالة بعيدا عن القلق والتوتر وبالتالي فإن الركيزة الأساسية في الصحة النفسية إنما يتمثل فيما لدى الأنا من قوة وإيجابية في التعامل بنجاح وفعالية مع جميع أطراف الصراع الشخصية منها والبيئية، كما يتمثل أيضا فيما لدى الأنا من قوة وإيجابية في التعامل مع الواقع بعيدا عن الآلية والرغبات الطفلية، ومن هنا يتضح أن صحة الأنا ورشده يكونان في قوته وأن فشله وجهله يكونان في ضعفه ونقص قدرته في كبح الذات والسيطرة على البيئة، كما أن آلية الدفاع عن الشخصية ربما تسلك طرقا كارثية تحطم كل شيء في طريقها حتى ذاتها.

الأنا في الدول العربية

إن الجهل والتخلف وهيمنة رجال الدين على عقول الناس ورفضهم لتقبل العلوم والنظريات العلمية الحديثة وخاصة ما يتعلق بالتحليل النفسي وفهم خبايا الذات الإنسانية والثقة العمياء التي تدفع الشعوب في تصديقهم دون أدلة ولا تمحيص يؤدي إلى الكثير من الأمراض النفسية التي تقف حاجزا منيعا ضد التقدم والازدهار، إن المريض نفسيا لا يشعر بمرضه والمجتمع المريض نفسيا يعتقد أن الآخرين هم المرضى نفسيا، ولذلك فهم غير محتاجين إلى التحليل النفسي ولا لنظرياته المفيدة، وهذا ما يدفع المجتمع إلى التقوقع حول ذاته والنفور من الآخر المختلف باعتباره هو المريض، إن كل ما يخالف المفهوم السائد من عادات وتقاليد وثقافة وأديان يعتبر مخالف ومرفوض، ومن لا يتبع القطيع فهو ضدهم ويجب محاربته.

يقول الدكتور فيصل القاسم أن للإنسان اثنتان من الأنا، الأنا السفلى والانا العليا. فالأولى تشمل الجوانب الدنيا من شخصية الفرد، أي القسم الحيواني الفوضوي غير العاقل أو الوضيع. أما الأنا العليا فالمقصود بها الإنسان بوصفه كائناً راقياً واعياً أو الجانب المصقول والمتحضر والواعي من الفرد. وهناك دائما صراع

بين الأنا العليا والانا السفلى. ولو انتصرت السفلى لكان الشخص أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان.

إن الانا العربية بشكل عام لا تستطيع النظر أبعد من أنفها، قيدت نفسها بعادات وتقاليد بالية وأفكار خاطئة وروتين قاتل الذي أفسح المجال إلى العنف الكامن بأن يتظاهر كما يحلو له، العنف المدفوع من قبل الهو أي الغرائز والنزعات الحيوانية الكامنة، العنف غير الموجه والغير قابل للسيطرة عليه، ما يشهده العالم العربي اليوم فوضى عارمة وحروب طائفية، والعنف الموجه ضد المختلف بأفكاره وعقائده، العنف الذي ينقلب إلى الحقد الأعمى الذي يحصد الأخضر واليابس بسبب صناعته وتمويله خارجيا.

يقول الإعلامي شريف منصور مقال عن التاريخ:

في عام 1905 دعا حزب المحافظين البريطاني، وفي سرية تامة، إلى عقد مؤتمر لندن، أو ما يسمي مؤتمر "كامبل بنارمان"، نسبة إلى رئيس الوزراء البريطاني آنذاك، هنري كامبل بنارمان، وضم الدول الاستعمارية في ذلك الوقت وهي بريطانيا، فرنسا، هولندا، بلجيكا، إسبانيا، إيطاليا.. واستمرت جلسات هذا المؤتمر ومناقشاته حتى عام 1907، وشارك فيه فلاسفة ومشاهير المؤرخين وعلماء الاستشراق والاجتماع والجغرافيا والاقتصاد، إضافة إلى خبراء في شؤون النفط والزراعة والاستعمار.

ومن أبرز الشخصيات التي شاركت في المؤتمر البروفيسور جيمس مؤلف كتاب "زوال الإمبراطورية الرومانية"، والبروفيسور لوي مادلين، مؤلف كتاب "نشوء وزوال إمبراطورية نابليون"، والأساتذة ليستر وسميث وترنخ وزروف، وغيرهم من العلماء إلى جانب القادة السياسيين والعسكريين من هذه الدول الاستعمارية.

افتتح كامبل بنارمان المؤتمر بكلمة مطولة جاء فيها: إن الإمبراطوريات تتكون وتتسع وتقوي وتستقر إلى حد ما ثم تنحل رويدا رويدا ثم تزول، والتاريخ مليء بمثل هذه التطورات، وهو لا يتغير بالنسبة لكل نهضة ولكل أمة، فهناك إمبراطوريات روما، أثينا، والهند والصين، وقبلها بابل وآشور، والفراعنة

وغيرها، فهل لديكم أسباب أو وسائل يمكن أن تحول دون سقوط الاستعمار الأوروبي وانهياره أو تؤخر مصيره؟ وقد بلغ الآن الذروة، وأصبحت أوروبا قارة قديمة، استنفدت مواردها وشاخت مصالحها، بينما لا يزال العالم الآخر في صرح شبابه يتطلع إلى المزيد من العلم والتنظيم والرفاهية، هذه هي مهمتكم أيها السادة وعلى نجاحها يتوقف رخاؤنا وسيطرتنا.

وبعد مناقشات مطولة، توصل المؤتمرون إلى نتيجة مفادها أن البحر الأبيض المتوسط هو الشريان الحيوي للاستعمار، إلا أنه الجسر الذي يصل الشرق بالغرب، والممر الطبيعي إلى القارتين الآسيوية والإفريقية، وملتقى طرق العالم، أيضا هو مهد الأديان والحضارات، ولكن الإشكالية أنه يعيش على شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص؛ شعب واحد تتوفر له وحدة التاريخ والدين واللسان وهذا جعلهم بعد مناقشات ودراسات عميقة ومطولة يخرجون بعدة توصيات من هذا المؤتمر:

- إبقاء شعوب هذه المنطقة مفككة جاهلة متناحرة، من خلال حرمانها من الدعم ومن اكتساب العلوم والمعارف التقنية، وعدم دعمها في هذا المجال، ومحاربة أي اتجاه من هذه الدول لامتلاك العلوم التقنية.

- محاربة أي توجه وحدوي فيها، ولتحقيق ذلك دعا المؤتمر إلى إقامة دولة في فلسطين تكون بمثابة حاجز بشري قوي وغريب ومُعادٍ، يفصل الجزء الإفريقي من هذه المنطقة عن الجزء الآسيوي، ويحول دون تحقيق وحدة هذه الشعوب (إسرائيل).

وتم اعتماد النص النهائي من لجنة الاستعمار وجاء فيه:

على الدول ذات المصلحة أن تعمل على استمرار تأخر المنطقة، وتجزئتها وإبقاء شعوبها مضللة جاهلة متناحرة، وعلينا محاربة اتحاد هذه الشعوب وارتباطها بأي نوع من أنواع الارتباط الفكري أو الروحي أو التاريخي، وإيجاد الوسائل العملية القوية لفصلها عن بعضها البعض. وكوسيلة أساسية مستعجلة ولدرء الخطر، توصي اللجنة بضرورة العمل على فصل الجزء الإفريقي من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوي، وتقترح لذلك إقامة حاجز بشري قوي وغريب "دولة إسرائيل"

بحيث يشكل في هذه المنطقة، وعلى مقربة من قناة السويس، قوة صديقة للاستعمار عدوة لسكان المنطقة.

وبناء على توصيات هذا المؤتمر، جاءت اتفاقية سايكس بيكو عام 1916، التي قسمت المنطقة ووضعت حدودا لم تعرفها هذه المنطقة من قبل، ثم جاء بعدها وعد بلفور عام 1917 (وعد من لا يملك لمن لا يستحق)، لتبدأ خطوات زرع الكيان الصهيوني الخبيث في قلب العالم العربي والإسلامي، وما زال العالم العربي والإسلامي يعاني من تبعات هذا المؤتمر إلى الآن، وما زالت الإمبريالية الغربية تواصل سعيها الحثيث من أجل تقسيم وتفتيت العالم العربي والإسلامي، من أجل إبقائه ضعيفا جاهلا مفككا لا يقدر على أي فعل أو وحدة أو نهضة أو تقدم، وليظل تابعا ذليلا للإمبريالية الغربية.

إن التاريخ هو مرآة الأمم التي تعكس ماضيها وتترجم حاضرها وتستلهم منه مستقبلها، والشعوب التي لا تقرأ التاريخ ولا تستفيد منه تفقد حاضرها وتضيع مستقبلها وتظل أسيرة أعدائها، ولخطورة هذا المؤتمر الذي رسم وحدد ملامح وشكل المنطقة وكل أزماتها وتفككها لأكثر من 100 عام؛ رأينا إعادة قراءته من جديد، علنا نساهم في مواجهة المؤامرات التي تُحاك لمنطقتنا في هذه المرحلة العصيبة؛ لنأخذ العظة والعبرة.

سارت خططهم كما يريدون بل أفضل مما كانوا يخططون وحرصوا على أن تكون إسرائيل هي المتفوقة بقوة السلاح وقوة العلوم، بينما زرعوا حكاما في البلاد العربية والعالم الثالث لخدمة مصالحهم ومن لا ينفذ مطالبهم من هؤلاء الحكام فمصيره الفناء العاجل بشتى الطرق، منها الاغتيالات أو حوادث السير أو الانقلابات أو الثورات أو الحروب، أصبحت أميركا هي التي تقرر سياسات العالم وهي التي تقرر من يموت ومن يعيش على ظهر هذه المعمورة، اللوبي الصهيوني هو من يدير البيت الأبيض من وراء الكواليس ويدعم كل يهودي في العالم بينما عمل علماء اليهود خاصة على زرع التفرقة العنصرية وزرعت روح الطائفية لتتقاتل الشعوب فيما بينها، وحرصوا على بقاء الجهل في العالم الثالث بتثبيت الأديان وتقديم الفتاوى التي تخدم مصالحهم وحذف كل ما يشكل خطرا على مصالحهم وغسل عقول البشر بالأهداف الخيالية والشعارات الرنانة وزرع الطوائف وخلق أسبابا للحروب فيما بينها وبيعهم الأسلحة بالدين وبفوائد كبيرة

لكي يبيدوا بعضهم بعضا، بينما هم يسرحون ويمرحون في طول البلاد وعرضها دون رقيب ولا حسيب.

قويت إسرائيل بمساعدة حلفائها اليهود في أميركا التي ضغطت على الشعوب العربية في التطبيع معها كل على حدا، ودفعت الثمن لهؤلاء الحكام الخونة لتنفيذ مخططاتهم الجهنمية، وبما أن الإنسان بطبيعته عدواني وأناني ويحاول السيطرة على كل شيء حوله حتى على أخيه الإنسان، فستتغلغل إسرائيل كعادتها في الكيان العربي لتقضي عليه ثم ستتحول إلى بقية الشعوب لتحاول السيطرة على كل الموارد الحيوية فيها وبالتالي السيطرة التامة على العالم وستنشئ حضارتها على أنقاض حضارات العالم، إلا إذا خرج مجنونا ودمر كل شيء على هذه الأرض وأفنى كل حياة قائمة عليها.

إن التاريخ المشوه والمليء بالأكاذيب التي تدفع الإنسان العربي يتفاخر بماضيه البعيد عن الحقيقة بل ويسكره بحيث لن يشعر بواقعه الأليم ويلهيه عن المطالبة حتى بأدنى حقوقه، هذا التاريخ الذي أخفى بين صفحاته صراع المسلمين على السلطة واقتتالهم الوحشي ومؤامراتهم الدنيئة وحياة البذخ التي عاشها حكامهم والغرائز الحيوانية التي هربت من سجنها الأخلاقي لتغوص في بحر الملذات وقتل كل من يقف قي طريقهم، كل هذا قد توارثته الأجيال على مر العصور وثبت الجبن واعتادوا على العبودية وتمجيد القائد مهما كان قاسيا ودكتاتوريا ومجرما.

إن الأنا العليا العربية أو الضمير أصبحت تتوارث مع الأجنة عبر الأجيال، إن عادات وتقاليد وثقافة العرب منذ ثان الخلفاء الراشدين ولغاية الآن تقوم على القشور السطحية للعقيدة الإسلامية ورفع أهمية النصوص الفارغة وإهمال الجوهر، ظهرت الشخصية العربية مريضة مليئة بقشور العقيدة ومؤامرات الاستعمار وشعاراته الكاذبة اللتين يبقي العقل العربي في حالة تخديريه أو عبودية واستسلام سواء للسلطة الحاكمة أو للمعلم أو للأب أو من صاحب العمل.

الشعب العربي والإسلامي

هذا العالم الذي من حولنا يغرق أكثر فأكثر في طوفان التخلف، تكون المصيبة أهون حين ترتبط ظاهرة التخلف بالأمي والجاهل في المجتمع، قد نتقبل الأمر لما عاشه هذا العالم العربي من فوضى وحروب واستعمار ولاحقا من فساد وطني داخلي منظم من قبل أنظمة تداولت على السلطة منذ مطلع الاستقلاليات الوطنية، أي منذ خمسينات القرن الماضي.

وقد نفهم الأمر ونبلع هذا التخلف بمرارة وتحسر حين نعرف بأن نسبة الأمية في العالم العربي مرتفعة وغير معروفة أساسا وأن عدد الأميين قد فاق الستين مليون نسمة أو أكثر، قد نتفهم أمر هذا التخلف حين ننظر إلى الخراب الشامل والممنهج الذي لحق بالعراق وسوريا وليبيا واليمن والصومال وقبل سنوات بالجزائر، حيث أغلقت الكثير من المؤسسات التربوية وتعذر على أطفال جيل كامل الذهاب إلى

المدرسة لسنوات متتالية، وهو ما سيجعلنا بعد سنوات أمام جيل كامل لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

قد نتفهم كل هذا التخلف الذي يقف خلفه فساد الأنظمة التي لا تريد تداولا على السلطة، أو بلدانا عاشت حروبا أهلية كان من ورائها الإرهاب والتعصب اللذان صنعتهما المدرسة أساسا.

لكن أن يأخذ الجهل شكل العلم، وأن يأخذ الجاهل صورة العالم، وأن يكون الجاهل حاملا للقب دكتور يعمل في مؤسسة جامعية عريقة أو في معهد عال، فهذا هو الغريب والمخيف في مجتمعاتنا العربية.

أن تكتب دكتورة في الأدب كتابا بعنوان "تحريم العطور" على النساء لأن هذا يثير غريزة المرأة، فهذا من علامات قيام ساعة الكتاب والكتابة والتفكير.

أن يكتب دكتور ينتمي إلى هيئة التدريس بالأزهر كتابا بعنوان "نكاح المعاق ذهنيا في الفقه الإسلامي"، ثمّ يطرحه في السوق للتداول والقراءة، ونحن في العشرية الثانية من الألفية الثالثة، فهذه عين الكارثة، وقمة الانحطاط الأخلاقي والفكري، والدليل الواضح على أمراض مستعصية تعاني منها (نخبنا) بين قوسين.

أن يكتب أحدهم كتابا بعنوان "ما يجوز وما لا يجوز في نكاح العجوز" ويعرض الكتاب على القارئ العربي ويتم تداوله، فهذه علامة على عطب العقل العربي ودليل على ما يعانيه من أمراض بنيوية.

أن يكتب أحد الشيوخ كتابا بعنوان "المباح في جهاد النكاح" فهذه واحدة أخرى دالة على مرض فكري، ودليل آخر على أن "النخب" المعطوبة لا تستطيع العيش إلا إذا كان المجتمع معطلا، ومثل هذه الكتابات المخلة بالحياة هي القاعدة التي تستند عليها منظومة الفكر التكفيري في تخريب ما تبقى من بقايا المجتمع.

أن يكتب فضيلة الشيخ العلامة كتابا بعنوان "الطريقة النبوية السليمة في نكاح المرأة والبهيمة" ويقدمه للقارئ العربي دون حياء، في زمن تحاصر فيه كتب وأفكار محمد أركون وأدونيس ومحمد الطالبي وغيرهم، كل هذا يوحي بأننا لسنا على حافة الهاوية بل إننا في قاع الهاوية.

حين تسمع بتداول كتاب بعنوان (النعيم الجنسي لأهل الجنة) فهذا يدل على هذه النخب التي جعلت من الدين دارا للدعارة والإباحية.

نحن لسنا ضد كتب التربية الجنسية ولا ضد الكتابة عن الجنس، بل إن طرح هذا الموضوع مسألة أساسية وبقدر ما نعتقد بأن مقاربة "الجنس" ضرورة فكرية واجتماعية وإنسانية فإننا نؤمن بأن مسألة حساسة مثل هذه يجب أن يتولاها العلماء المختصون في هذا الباب، وليس الفقهاء أو علماء الدين، فالجنس مسألة إنسانية عميقة لا يمكن تداولها بهذا الشكل المبتذل.

وأنا أتابع مثل هذه الإصدارات الرديئة، أشعر بخجل أنني أنتمي إلى هذا العالم الذي يوزع مثل هذه الكتب على أبنائه لقراءتها وربما برمجتها في مقررات الجامعة على طلبة يعيشون عصر التكنولوجيا المعقدة والبحوث في الذكاء الاصطناعي.

أشعر بمرارة ثقافية كبيرة أن تكون لنا دور نشر تقبل طباعة مثل هذه الكتب ومكتبات تعرض مثل هذه الأمراض المتخفية في الكتب المجلدة تجليا فنيا والتي تصنف عادة في باب كتب الفقه والشريعة والفتاوى.

إن الخطر الكبير على مجتمع هو يصبح "المتعالم" "جاهلا" مقدسا، وجهل المتعالم أكثر خطورة على المجتمع من الجاهل، وأخطر من ذلك حين يكون هذا المتعالم يعيش في مجتمع كالمجتمع العربي اكتسحته الأمية والفقر والخرافة.

أمين الزاوي: روائي وأكاديمي جزائري

يعيش المجتمع العربي والإسلامي حاليا بما يشابه عصر النهضة في أوربا منذ ثلاث أو أربعة عقود، أي أننا متأخرين عن أوربا بثلاثة أو أربعة مئة سنة، فكيف سبقونا بالعلم والثقافة والمعرفة في كافة العلوم بعدما كانوا يستوردون العلم من عند العرب والمسلمين؟ كيف توقف العرب عن التقدم بكل العلوم والاكتشافات وكيف استلم الغرب زمام الأمور؟ وهل العرب سيعيدون التاريخ بالنهضة العربية مثل النهضة الأوربية والمرور من الظلمات إلى النور كما فعلت أوربا أو القيام بالثورات البناءة مثل الثورة الفرنسية؟ أو ظهور مارتن لوثر العربي الذي سيقضي على الحركات السلفية المتحجرة التي تقف عثرة في طريق التقدم العربي والإسلامي؟ والسؤال الأهم من كل ذلك هل ستقام الحروب الدينية (أو ربما بدأت في بعض الأماكن) التي ستقضي على الملايين لكي يستيقظ العرب من ثباتهم كما فعلت أوربا ومحاكم التفتيش أم ربما يوجد هنالك طريقة أخرى لتجنب الويلات؟

هل سيعيد التاريخ نفسه ولكن بطريقة أخف أو بطريقة أكثر اجراما من التاريخ الأوربي؟

أعتقد أن الغرب قد نهض من غفوته بسبب العلوم العربية والإسلامية التي مهدت الطريق لتقدمه وأعتقد أن العرب والمسلمين إن لم يتوقفوا عن النمو الثقافي لكان الغرب لا يزال يستمد طاقته المعرفية من عند العرب والمسلمين بسبب تقدمهم العلمي ولكن يا للأسف الشديد بدأت الحضارة العربية بالموت عندما بدأ السلفيون محاربة العلماء المسلمين بدعوة ابتعادهم عن الدين وبسبب علومهم الغير متكافئة مع علوم الأديان.

في العصور الوسطى كانت الكنيسة هي المهيمنة على السياسة الداخلية والخارجية، وحروب الطوائف بين الكاثوليك والبروتستانت والأرمن..

نادى الشعب الأوربي بالعلمانية التي تعني فصل الدين عن الدولة، وليست لها علاقة لا بالإيمان ولا بالإلحاد، الدين لا يقرب من السياسة ولا السياسة تقرب الدين، هذا هو مضمون العلمانية، يمكن أن يكون الإنسان علمانيا متدينا أو ملحدا، وهذا بسبب الحروب الكثيرة ومحاكم التفتيش والضحايا التي ذهبت باسم رحمة الأديان، واستطاعت أوربا التقدم عن العرب بفضل هذه العلمانية التي وضعت السياسة للسياسيين والدين لرجال الدين، وازدهرت البلاد بفضل هذه العلمانية والنتيجة هي ما نراها اليوم من التقدم والتطور بكل تيارات الحياة فيها.

فصل الدين عن السياسة هدف يتبعه فصل الدين عن الكثير من القوانين الاجتماعية التي تترأس المجتمع بكافة طوائفه ومذاهبه وتياراته الدينية والسياسية.

أما العرب فلا تزال الأديان هي التي تتحكم بالسياسة بشكل عام، وكل قوانيننا مستمدة من الكتاب المقدس، أو هذا ما يوحي لنا من فتاوى رجال الدين الذين يعملون جاهدا لمساندة الحكام وتوجيه الشعوب إلى مصالح هذه الحكام، لقد فسر الأولين واجتهدوا في اخراج القوانين الدينية والتفسيرات العشوائية والفتاوي التي صدقها عامة الشعب دون دليل ودون تمحيص وبحث ومراجعة فقط لأنهم يثقون بشيوخهم وعلماء دينهم الذين كانوا طيلة الوقت بجانب الحكام على المحكومين، كما أن تفسيراتهم تعود إلى القرون القديمة التي كانت غارقة بجهلها وضعف بصيرتها وسنت القوانين العاطفية والغير منطقية وعممتها على كافة الشعوب الإسلامية، ولغاية اليوم تتبع الشعوب المغلوب على أمرها هذه الفتاوى والقوانين

والتفسيرات والاجتهادات القديمة دون أن يراودهم الشك في صحتها وبالعكس فقد رفضوا التغيير ورفضوا المختلف عنهم وأصبحوا أعداء لكل جديد ولكل علم ولكل عالم نبيل يبحث عن الحقيقة، سواء بسبب جهلهم وبساطتهم أو بسبب رجال الدين الذين يخفون الحقيقة ويروجون الفتاوي لصالح حكامهم، والإعلام المبرمج الذي يهدف إلى تجميد العقول وغسلها وإعادة برمجتها لصالح القوى المسيطرة والنتيجة هي هروب الكثير من علماء العرب والمسلمين إلى الدول المتقدمة للنجاة بأنفسهم وعلمهم وعملهم، ولقد ابتعاد الكثيرين منهم عن دينهم ولكنهم يتسترون به لتمرير مصالحهم والنصب على الناس المساكين الذين يصدقون كل ما قيل سواء من حكامهم أو من رجال الدين المحامون للدولة، لا سبيل إلى التقدم إلا التحرر من قيود الأديان أو بالأحرى من قيود رجال الدين والحكام الذين لا هدف لهم إلا تأجيج روح الطائفية بين الشعوب البسيطة، وهذا ما نراه حاليا في كل البلاد العربية والمسلمة والتاريخ يعيد ذاته، أوربا دخلت في مستنقع الحروب الطائفية وخرجت منها بفضل العلمانية التي هي فصل الدين عن الدولة، والمسلمين لا يزالون في الصراع الطائفي والحروب التي تأكل الأخضر واليابس ولا سبيل للخروج منها إلا بالعلمانية مثل أوربا المثال الحي الذي نراه أمامنا وفصل السياسة عن الدين ورفع شعار الدين لله والوطن للجميع، ويمكن أن نعرف العلمانية:

العلمانية هي عبارة عن حركة اجتماعية تتجه نحو الاهتمام بالأمور الدنيوية بدلا من الاهتمام بأمور الأخرة، وتقوم العلمانية على مبدا فصل كل من الحكومة والسلطة السياسية عن الدين والشخصيات التي تهتم بالدين، ومن ناحية اخرى فإن العلمانية تقوم على اساس ان الدولة ليس لها الحق في اجبار مواطنيها على اعتناق دين محدد يقوم على عدة اسس وضوابط خاصة فيه وبمعنى اخر ى فإن العلمانية هي مصطلح يعني أن الدولة يجب ان لا تخضع لأي مؤسسة دينية عند اتخاذ القرارات وتنفيذ الأنشطة التي يجب على الدولة القيام بها.

الليبرالية فلسفة سياسيّة وأخلاقيّة تقوم على مبدأ الحريّة والمساواة أمام القانون، حيث يتبنّى الليبراليون مجموعة واسعة من الآراء اعتمادًا على فَهمهم لهذه المبادئ، ويدعمون الحقوق الفردية والحقوق المدنية وحقوق الإنسان والرأسمالية والأسواق الحرة والديمقراطية والعلمانية والمساواة بين الجنسين والمساواة العرقية وحرية التعبير والصحافة والدّين، وبذلك يكمن الفرق بين الليبرالية والعلمانية، حيث إن الليبرالية حاضنة لمفهوم العلمانية، حيث ظهرت عند الحاجة

إليها، وسعت إلى استبدال قواعد الامتياز الوراثي ودين الدولة والمَلكية المطلقة والحق الإلهي للملوك، بديمقراطية وسيادة القانون، فقام الليبراليون بإنهاء سياسات الاحتكار وعززوا الأسواق الحرة.

عندَ التطرق إلى الفرق بين الليبرالية والعلمانية يُلاحَظ أن العلمانية وليدة من الليبرالية، بمعنى، أنه لا توجد علمانية دون ليبرالية ولكن ليس العكس، حيث لا يمكن حتى أن يكونا مرادفين لبعضهما، فالليبرالية فلسفة سياسية واسعة تضم عددًا من العناصر والمبادئ مُتَضمنةً العلمانية داخلها، وهذا يعني وجود وجهات نظر اجتماعية وسياسية تؤيد التقدم والإصلاح وديمقراطية في داخل الدولة مع حرية الأديان، في حين أنّ العلمانية لا تشمل الدين في السياسة على الإطلاق بحيث أن تعمل أجهزة الدولة جمعيها باستقلالية تامة، حيث أنّها تُروّج على أساس إيديولوجي فلسفي سياسي وليس مجموعة كاملة من المثل العليا تقدم فلسفات ترقى بالعلوم والفنون الإنسانية كما الليبرالية.

يقول البعض أن من المستحيل فصل الدين عن السياسة كون الحياة اليومية عبارة عن عبادة، فالتعامل بين الناس عبادة واللجوء إلى القوانين عبادة وحركات كل فرد عبادة والأقوال عبادة و...كل شيء عبادة، ولكن فصل الدين عن الدولة ليس هدفه قتل الأديان أو قتل السياسة فهذا الشيء محال ولكن الدين لله أي كل إنسان علاقته بربه من شأنه وحده ولا علاقة للآخرين لا من قريب ولا من بعيد به، والوطن للجميع أي القانون فوق الجميع يلجأ إليه كل إنسان مهما كان دينه وعقيدته الدينية ويصبح الشعب تحت مظلة التعاون المشترك والمحبة السائدة.

إن كل من يتكلم عن مساوئ العلمانية هدفه المحافظة على وضع العرب والمسلمين كما هو عليه الآن دون أي تقدم وسأضع القارئ بموضع التكهن لمصلحة من أن يبقى العرب كما هم دون أي تغيير.

ربما للعلمانية مساوئ ولكن محاسنها أكبر بكثير من مساوئها مثل الأدوية التي تعالج المرض ربما تضر بأماكن أخرى ولكن تبقى محاسنها أهم بكثير من مساوئها، وأعتقد أن العلمانية لا أخطاء لها بل أسس وقوانين قابلة للتطور في كل زمان ومكان في هذا العالم.

أعداء العلمانية يتدعون أنها أنتجت إنسانا لا يقف في وجه الشهوات ويحتقر الأخلاق ويسخر من الدين؟؟؟ إن ما يميز الإنسان عن الحيوان هو أنه يستطيع

كبت شهواته لأنه إنسان يؤمن بحقوق الإنسان ويدافع عن هذه الحقوق ولكن في بلادنا أين هي حقوق الإنسان؟ أين هي حب الإنسان لأخيه الإنسان كل واحد في البلاد العربية يسطو وينهب ويرتشي طبعا لا أشمل الكل ولكن نسبة عديمي الأخلاق أكثر من أصحابها. وأوربا هي التي أعطت للمرأة حريتها بينما لا تزال في البلاد العربية في موضع الدونية السفلى والأمثلة كثيرة لا حاجة لذكرها، أما الحرية الجنسية التي يهاجمها أعداء العلمانية فهية حرية الإنسان العاقل الذي يتعامل مع شهواته بالعقل والحكمة مع مراعاة حقوق الإنسان وحرياته وطبعا لكل قاعدة شواذها، أما عند العرب فالشواذ أكثر من القاعدة ويوجد الكثير من الأمثلة عليها.

الحب والإخلاص والوفاء والتضحية والاستقرار والاستمرار والشوق والاحترام لا وجود لهم في بلادنا مثل ما هو موجود في البلاد العلمانية.

يكفي أنهم يعملون بجد وبإخلاص وكل إنسان يؤدي واجبه بكل أمان أما العرب فمعظمهم مخادع ويراوغ ويؤجل ويكذب ويرتشي، في أوربا نجد العاطلين عن العمل معظمهم عرب ومسلمون يتقاضون رواتبهم من الدولة دون عناء بعكس الأوربي الذي إن وجد نفسه دون عمل سعى بجهده لإيجاد عملا آخر، والعامل المسلم يبذل جهدا بالمراوغة والالتفاف حول أمور تافهة لكي يهرب من عمله وهذا ما نراه واضحا جليا في البلاد العربية والإسلامية، في أوربا نجد الكثير من العرب والمسلمين يتشاجرون مع غيرهم من العرب والمسلمين على أشياء تافهة ويجعلون الأوربي يشمت بهم وبطبيعة حياتهم مع أنهم يحترمونهم بسبب اندماجهم وعملهم وزواجهم بهم، إن الكثير من المشاكل نجد وراءها عربي أو مسلم، إن هذا نابع من الحقد المتراكم ضد الحكام العرب على مر العصور الذين حكموا الشعوب باسم الدين، واضطهد وهم وعذبوهم واعتقلوهم وقتلوهم بدون سبب، هذه العدوانية المتراكمة جعلت العربي أو المسلم ينفر من بلده وعاداته وتقاليده بل ويعاديهم ويعمل على تخريب و عطب ممتلكات الدولة انتقاما منهم وتنفجر عدوانيته لأتفه الأسباب دون أن يعلم لماذا ويحاول الالتجاء للدين لراحة نفسيته وتطهيرها من الشوائب العالقة بسبب حياته في ظل التخلف والظلم وعدم الأمان ويهرب إلى البلاد المتقدمة ليجد نفسه أمام الحقيقة المرة وهي تخلفه وجهله في بلاده وتعرفه على الحرية لأول مرة في حياته، فمنهم من حاول الاندماج بالغرب ومحاولة السير مع تقدمهم ومنهم من انتكس ورفض تطورهم ويعدد عيوبهم وعاداتهم التي ربما تتعارض مع عاداته وتقاليده وينعتهم بكل الألفاظ دون

المحاولة لتفهمهم والإيمان بأن كل مجتمع له عاداته وتقاليده التي اعتاد عليها منذ زمن بعيد، وعاد ليتمسك بدينه ليفتخر به أمام الغرب ليثبت لنفسه أولا بأنه يملك العقيدة الصحيحة دون أن يتعلمها ويفهمها أو أن يطورها وهو الذي كان في بلده بعيدا عن الأديان كلها، ويوجد من المهاجرين في البلاد المتقدمة الذين لا يستطيعون الاندماج مجتمعهم الجديد، عملوا على التقوقع على أنفسهم وأحيوا عقيدتهم وعملوا على الغوص في تقوسها وتحولوا إلى متطرفين في دينهم بسبب عدم فهمهم لعقيدتهم كما يجب المنطق والعلم والتقدم والازدهار، وبسبب شعورهم بالنقص أمام تطور وتقدم البلد الذي يعيشون به، لجأوا إلى هذه الطريقة لتساعدهم في التوازن الشخصي والمحافظة عليه من الانهيار.

من حسن الحظ أن العلماء العرب لم ينقرضوا بل استطاعوا أن يثبتوا وجودهم في بلاد العالم لأنهم لو بقوا في بلادهم لكانوا ضاعوا بين القوانين السياسية والدينية والعادات والتقاليد، ومن النادر أن تسمع عن علماء عرب أو مسلمين من النساء مما يثبت عدم تحرر المرأة على عكس ما تدعيه الأديان السائدة في هذه البلاد.

قديما ولغاية القرن الثاني عشر كان العلماء العرب أول من بحث في العلوم والاكتشافات العلمية التي مهدت الطريق إلى التبحر في عالم العلم والمعرفة، وبدأ رجال الدين يتخوفون على مناصبهم من هذه العلوم لأنها بدأت تفضح مؤامراتهم وتسلطهم على الشعوب، وبدأت العداوات بينهم وبين رجال العلم إلى أن انتصروا وعاقبوا العلماء بسجنهم وقتلهم ونفيهم وحرقهم وحرق كل مؤلفاتهم إلى أن قضوا على كل بذرة تنذر بولادة المعرفة والتقدم والازدهار، وفي القرن الخامس عشر وتحديدا عند العالم غاليليو الإيطالي الذي اكتشف أن الشمس هي مركز الكون لا الأرض، فاعتقل من قبل الكنيسة الكاثوليكية في روما وحكم عليه بالإقامة الجبرية، كان غاليليو عضوا في جمعية الطبقة المستنيرة التي تضم الكثير من العلماء والمفكرين، وقد روجت الكنيسة الاشاعات عن هذه الجمعية مثل عبدة الشيطان لكي ينفر منها الشعب ويبلغ عن تحركاتها، وقد اعتقل منهم بعض العلماء وعُذبوا وقُتلوا فهرب العلماء من إيطاليا إلى أنحاء أوربا، وانضموا إلى جمعية البنائين الأحرار (الماسونية) التي احتوتهم ورعتهم لأن الماسونية بدأت بأهداف سامية تتعاطف مع العمال والأيدي البناءة واكتسبت قلوب الفقراء ورجال الأعمال الشرفاء، وسيطرت على النفوس والعديد من الشخصيات البارزة، تسللت الطبقة المستنيرة إلى مراكز الماسونية وسيطرت عليها ثم أخذت تطالب بالدعم

باسم العلم من القطاع المصرفي والجامعات والقطاع الصناعي ويخيلوهم لإنشاء دولة عالمية واحدة ومُوحدة مبني على أساس العلمانية، لقد أطبقت يدها على العالم وسيطر عليها أناس تعمل بالخفاء وتدير العالم بذكاء فنرى الحروب وقد اندلعت في مكان ما دون أي سبب أو انذار، ونرى الطوائف تتقاتل دون أي مبرر لذلك، ونرى الفقر والأوبئة عصفت في أماكن مختلفة، ونرى علماء قد اهتدوا إلى الطرق الأفضل في السيطرة على العقول وغسيلها وإعادة برمجتها، ونرى مجتمعات بأسرها تجري إلى أهداف برمجت خصيصا لها.

عندما نريد اخضاع أحدهم إلى إرادتنا يجب أولا تجريده من شخصيته وثانيا تعويض هذا النقص في شخصيته ما نود نحن أن يفكر به ويتبناه، عندما يكون الفرد العربي تابعا للغرب فهذا يعني أنه أخفق في بناء شخصيته ويتممها بشخصية الغرب المتقدم، وعندما يحارب الفرد العربي الشخصية الغربية فهذا يعني أنه مكتفي ذاتيا بشخصيته التابعة لعقيدته بغض النظر عن مدى صحتها، وعندما نقارن بين هذه العقيدة وعقيدة الغرب التي تمد أفرادها بالعقيدة الراسخة نرى الفرق بين هاتن العقيدتين والفروق الواضحة بين التقدم والتخلف وبين العلم والجهل وبين الحقيقة والخرافة.

الكل يعلم أن الأديان ماهي إلا القوانين الإنسانية التي أوجدها الإنسان عندما قرر العيش ضمن جماعات وقبائل وعشائر وشعوب وأمم، ويمكن أن يتفهمها البعض بأنها القوانين السماوية التي أنزلت لكي يتبعها البشر، مهما كانت مصادرها فهي جاءت لخدمة العلاقات الاجتماعية، هذه القوانين الاجتماعية تطورت بالتناسق مع تطور المجتمعات ولكنها بقيت كما هي في الكتب السماوية وهناك الكثير من المتدينين الذين يستمدون شخصيتهم من ذلك الكتب دون تغيير أو تطوير، من هنا نرى الاختلاف بين المجتمعات، وبين أفراد المجتمع الواحد، وتقدم فرد عن الآخر ومجتمع عن الآخر، والمجتمع المتقدم يستعمر المجتمع المتأخر والفرد المتأخر يخضع للفرد المتقدم.

منذ القديم، كانت الفلاسفة تحاول تعريف الإنسان والإنسانية، فمنهم من قال أنه حيوان ناطق أو متدين أو واع أو حر أو مفكر أو مبدع ..الخ، الإنسان بشر مثل كافة المخلوقات الأرضية ويتشابه معها في كل الصفات البيولوجية وبعض الصفات الفسيولوجية، تاريخ الإنسان معروف منذ أن نزل عن الأغصان وسار

في المعمورة، كيف بدأ يعي الطبيعة وكيف بدأ أن يستفاد منها في حمايته وتحقيق احتياجاته ورغباته، احتاج الإنسان إلى آلاف السنين ليتطور بالعلوم شيئا يسيرا وكلما ازدادت اكتشافاته للطبيعة وتقدمه في العلوم كلما نقص الزمن في تطوره بالمعلومات، الإنسان ليس مختلفا عن الكائنات الحية ولكنه السباق إلى حصوله على المعلومات وتسخير الطبيعة لصالحه واستطاعته التغلب على قوانينها القاسية وتحويلها لصالحه، وطبعا استفادت بقية الكائنات الحية من هذا التقدم الهائل بالتكنلوجيا كما وكان هذا التقدم لعنة على الكائنات الأخرى، تتقدم الكائنات الحية بالوعي والذكاء وخاصة القريبة من الإنسان حيث أنها تتعلم منه الكثير دون أن يلاحظ الإنسان هذا، بل ويحاول تعليمها بعض الأمور التي تعود عليه بالسعادة أو الربح أو الافتخار بقدرته، إذا الحيوانات أيضا تتقدم بالذكاء وتتطور دون أن نلاحظ ذلك وربما لو سبقت الإنسان بالوعي والذكاء لربما أصبحت هي السائدة على الأرض بدلا من الإنسان.

الطوائف المسيحية:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%B1%D9%88%D8%AA%D8%B3%D8%AA%D8%A7%D9%86%D8%AA%D9%8A%D8%A9

الليبرالية والعلمانية:

https://sotor.com/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%82-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%8A%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A9-

%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9/

حقيقة الأوطان

الوطن بشكل عام هو مكان إقامة الإنسان أو مسقط رأسه أو الارتباط التاريخي أو الاحترام والفخر والانتماء أو كسب عيشه وغناه ورفاهيته أو ارتباط الجغرافيا مع التاريخ وارتباط الزمان بالمكان، تعاريف كثيرة تدل على الأوطان والتفاني في حبهم والدفاع عنهم، الوطن له حقوق يجب على المواطن تلبيتها كما للمواطن حقوق على الوطن يجب على الوطن تلبيته حتى يدعى فعلا بالوطن وما عدا ذلك هو وهم يبنى في رؤوس المساكين لتلبية جشع السياسيين.

من الغباء التفاني في حب الوطن والدفاع عنه عندما لا نملك شيئا به أو ليس لنا حقوقا أو شخصية أو كرامة، هذا لا يدعى وطنا بل سجنا كبيرا يمارس علينا كل أنواع الطغيان والحرمان وفقدان الأمان، عندما لا نستطيع التخطيط لمستقبلنا ومستقبل أولادنا فإننا نضيع وتضيع أجيالنا ويضيع كل انتماء لنا، يوجد أناس ينتمون إلى الحاكم الشرير ضد اخوانه في الوطن واخضاعهم للركوع والسجود تخليدا لرئيس العصابة الذي يخنقهم ويقتلهم ويسلبهم كل عزيز عليهم.

إن الانتهازيين الذين يمارسون الإرهاب الجسدي والمعنوي إرضاء للحاكم ضد إخوانهم هم الذين يحمونه ويخلدونه حبا لمصلحتهم الشخصية لأنهم لا يثقون بمستقبلهم ومستقبل أولادهم في ظل الأوضاع الراهنة، يخططون للنجاة بمفردهم

ويبنون مستقبل أولادهم على حساب مجتمعهم، كل هذا لعدم وجود الثقة بحكوماتهم التي تسرقهم وتسجنهم وتعذبهم وتمارس كل أنواع الإرهاب ضدهم.

الماسونية العالمية التي تحوي الكثير من العلماء وكبار السياسيين ورؤوس الأموال التي تعمل المعجزات، التي تتحكم بالسياسات العالمية والقوى العظمى، هي التي تسعى لإحكام قبضتها على كل شيء في هذا العالم، هي من تصنع الحروب وتتاجر بالأسلحة، هي من تقوي الطائفية وتعزز الجهل، هي من تسرق خيرات البلاد وتجعلهم يغرقون بالديون لكي تستعبدهم ويمررون مخططاتهم الجهنمية، هي من تضع رؤساء الدول الضعيفة لتتحكم بشعوبها، وبسبب الجهل والأنانية لتلك الشعوب المغلوبة على أمرها، وبسبب الشعارات الرنانة التي تبقى حبرا على ورق، وبسبب تنمية الطائفية وتقوية الروح الميتافيزيقية، تحاول هذه الشعوب الوقوف على قدميها فتلتف حول حكامها إلى أن تتضح حقيقتهم وتلجأ إلى الأديان حتى يتضح عدم الجدوى منها، كل ذلك وسياسات الدول العظمى تسير بتقدم سريع بحيث من المستحيل بأن تلحق بهم الشعوب المقهورة.

الإنسان أذكى الكائنات الحية ولكنه يبقى جزأ من الطبيعة التي أنتجته، يشارك جميع الكائنات الحية بالمأكل والمشرب والنوم واللهو والحب والجنس والأنانية والعدوانية، لا يميزه إلا ذكائه الذي طور أدواته لتساعده في تلبية نزواته، دون أن يطور غرائزه، أصبح يشرب الماء النظيف عوضا عن البحيرات والأنهار والآبار، يأكل مما يزرع ومما يربي من حيوانات، ينام بطمأنينة عن الحيوانات المفترسة وبعيدا عن برد الشتاء القارس وحر الصيف المحرق، يحب والديه وإخوته وزوجته وأولاده، يدافع عنهم ويصون مصالحهم، ويلهو بالألعاب الجميلة والذكية ويمارس الجنس بقوانين اخترعها ليعيش ضمن جماعات تخدمه ويخدمهم درس الطبيعة وسخرها لخدمته واخترع وسائل ترفيته، أما الأنانية التي تجعله يخطط لتدمير الآخر والاستيلاء على أملاكه، فهي أيضا تطورت وأصبح سباق التسلح واجبا للدفاع والهجوم على الغير، ماذا اختلف الإنسان عن الحيوان من حيث المبدأ؟ لا شيء سوى الإرادة، عندما أراد الإنسان العيش ضمن جماعات للتغلب على الطبيعة، أوجد القوانين التي تقوي الإرادة حتى يستطيع تغذية نزعاته دون المساس بحقوق الآخرين، هذه الإرادة التي تضعف في مجابهة الغريب وتقوى في مواجهة القريب، هذه الإرادة التي ظهرت عند الإنسان دون الحيوان بسبب ذكائه، ولكنها في بدائياتها، ولا يحدها إلا القوانين القاسية التي تطبق على الضعيف دون القوي، الضعيف الذي تهدر حقوقه وتكثر واجباته بينما القوي

تنعدم واجباته ويأخذ كل حقوقه وحقوق غيره، الأقوياء يتحدون ضد الضعفاء ويخلقون الوسائل التي تبقي الضعفاء على حالهم ليبقوا أقوياء، وتوجد فئة من الضعفاء التي تتباها بالأقوياء وتصبح تابعا لها وتتقمص شخصيتها على الضعفاء مثلها لتعويض النقص الذي تشعر به في اللاوعي وتتفانى بخدمتها لهؤلاء الأقوياء الذين يستغلونهم في كافة الأعمال القذرة.

إن كان جاري أقوى مني فإني أخافك، وإن كان أضعف مني فإني أحتقرك، وإن كنا متعادلين فإني ألجأ إلى الحيلة، فما الدافع الذي يدفعني لطاعته؟ وما السبب الذي يدفعني لمحبته؟ د. جان حي روغ مون.

الشعوب المغلوبة على أمرها يقيدها الأخلاق والقيم التي تربوا عليها كما يقيدها أيضا الأديان التي تبعدهم عن التفكير المنطقي وتدفعهم إلى الحلول الميتافيزيقية، إن عدم حصول المواطن على أدنى حقوقه يدفعه إلى كبت عدوانيته لئلا يخسر حياته من قبل الديكتاتور وأعوانه فيؤدي ذلك إلى كبت الضمير أي كبت العدوانية تتجه إلى داخل الإنسان المقهور لكي تتواجه مع الضمير الذي يمثل الضوابط العليا للغرائز والنزوات فيؤدي ذلك إلى أن يبيع الإنسان أقرب الأقرباء للفوز بالحياة أو بالرتب العليا أو بالمال، يسود على الآخرين ويجعلهم أدوات لقوته أو يسحقهم إن قاوموا، وسواء الضعفاء المقهورين أو جلاديهم بحاجة لتبني معتقدات معينة والدفاع عنها، أن الضعفاء يعتبرون ضعفهم فضيلة ويستنكرون مظالم العالم دون أن يجرؤوا على محاربتها،